مولد عم سلطان !

قصة : د. سيد شعبان

لا تنفك الحارة تعطي بعضا من ألق الذكرى، لقد وعيت في سنوات عمري الأولى ذلك الجمع من الدراويش يتمثلون موكب المريد والأتباع، بعضهم يعلق خرقة خضراء، الفم يسيل لعابا يخرج زبدا، والآخر يتراقص كالمجذوب أصابته حميا الوجد، كأنما لعبت برأسه صهباء ذات أثر، أغطية العلب تتدلى من رقبته كأنها تيجان ملك ضاعت دولته!

الجريد الأخضر فوق الجمل المرفوع عليه الهودج، السيوف الخشبية تشير إلى مجد غابر، الخيول مع أنها ضامرات لكن ثمة روح تتسرب بين الجمع أن القوم يحملون سرا دفينا، يحلو مع السمار البوح به. الأمهات يقفن بباب الحارة مشمرات الموكب كلما اقترب من موضع البركة هاجته الذكرى، لقد أدوا الورد فنونا من أهازيج، والسعيد من ذاق شربة ماء من يد السيد!

مضت سنوات وسنوات والعيدان الخضراء صارت سيوفا من رصاص هادر، حتى الإبل التى حملت الهودج يوما تخطو في ساحات المهد حملت آثام القوم. العم سلطان انتشى بزهوته، جمع في يديه كل العلب، صار التقزم شارته، بل إنه يضحك منتشيا، لقد كثر المريدون البطون الضامرات، والعيون الشاخصات تهتف به مخلصا، الدراويش وما فعلوا؛غير التخصر والانتشاء بفعل خمر الوجد وحسن القرب.

خال نفسه ذلك الآمر بين أتباعه، الوهم حين تنعقد له شارته بين يدي الأغمار يظن أن تلك العلب من الصفيح تميس بين يديه حبات لؤلؤ تزين واجهة التاج، الثياب المرقعة بكل صنوف الخرق المتآكلة يختال بها عباءات يتزيا بها المجد، ولأن بابه كان قريبا من بيتنا، كنت أتسلق شجرة الكافور العملاقة، ألمس متخيلا معاقد النجوم، ولأن الرجل كان ذا تفكه فقد مضت لياليا بين سمره ومرحه، ساعات لهو!